

بسم الله الرحمن الرحيم

التحديات التي تواجه اللغة العربية في عصر العولمة

د. محمد انعام الحق شودري
كلية جلال اباد الجامعية

ملخص الدراسة

تناولت هذه الورقة اللغة العربية والتحديات التي تواجهها داخل العالم العربي وخارجه، وتناولت العولمة أثرها وتأثيرها على العربية وبلاد العرب. اللهجات المحلية ودعاتها، والتعليم وآثاره السالبة من ضعف في المناهج وعدم تدريب، وكفاية معلمية، والبيئات المحلية التي ترفض الفصحى وترغب في مواكبة العالم، وانتشار الأمية، ووجود المقرضين من أعداء العربية الذين في كنف الغرب وأصبحوا لا يرون في العربية شيئاً جميلاً، والتشجيع المستمر للغات الأجنبية، وغير ذلك من وسائل الإعلام غير الواضحة تجاه لغة الإعلام ببيوتاته المختلفة؛ كلها تقف في وجه العربية ولا مناص من معالجة هذه الأورام الخبيثة، والرجوع للعقلية العربية الأصيلة التي أكد لها المولى عز وجل بحفظ هذه اللغة من خلال حفظ القرآن الكريم. مجاهدات كثيرة نصوغها لمحاولة الإدلاء بما يفيد وينفع صوتاً لهذه اللغة الشريفة وتراثها العظيم.

تتابع تحديات العولمة من مزاحمة لغوية وانتشار وسائط تقنية في عالم أصبح قرية صغيرة -تتصارع لعرض ثقافات وهوياتها للهيمنة والبقاء لخطر ما وراء هذه الثقافات محاربة للإسلام ولأهله، ونشراً لأفكار لا تتناسب وإنسان العربية، وعموماً تحدث الإسلام عن صلاحية لكل زمان ومكان، وأثبتت آياته ذلك، ولا شك أنها الرسالة الخاتمة وإن ظنَّ غير العرب أنهم سيضربون الإسلام من خلال أبنائه فهناك أقوام كثر همهم العربية وتمكينها لحفظ الدين.

فمستقبل اللغة العربية مرهون بأن تكون العربية هم كل عربي ومسلم حادب على نصرتها نصرته لدين الله.

التحديات التي تواجه اللغة العربية في عصر العولمة

كان البدء (بدء النبوة) بتعلم الكلمة في قوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها) والختم (ختم النبوة) بتعليم الكلمة في قوله تعالى: (إقرا باسم ربك الذي خلق)¹ وأخرج الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالمودع فقال: أنا محمد النبي (ثلاث مرات) ولانبي بعدي أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه)². فالوحي نزل كلمة فكان مصدراً من مصادر العلم والمعرفة فوحدت محمد بن رافع والفضل بن سهل الأعرج عن شبابه بن سوار بن عاصم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يارز بين المسجدين كما تارز الحية في جحرها)³. الإسلام بدأ غريباً وسينتهي غريباً وغربة اللسان من غربة الدين فمن المعروف أن اللغة العربية انتشرت بانتشار الإسلام وامتدت في فتوحاته في آسيا وأفريقيا، وكان لها من القوة والنفوذ ما مكنها من التغلب على لغات الأمصار القديمة ويرجع تمكنها إلى بنيتها الداخلية ودقة نظامها وقواعدها وغنى معجمها وما إلى ذلك من عوامل.

إن اللغة العربية ليست ملكاً للأحياء وحدهم بل هي ملك للأموات أيضاً وملك للذين لم يولدوا بعد فهي إذن ملك للجميع على كل العصور، لذلك يجب على الأحياء أن يكونوا أمناء على ما خلف السابقون وما سيورثونه لمن يأتي بعدهم وعليهم أيضاً ألا ينسوا دورهم في فهم الماضي وتعميق الحاضر ورؤية المستقبل واستشرافه، وعلى المرء كذلك أن يكون حذراً في طريقة امتلاك اللغة واستعمالها.

ومن هنا سوف تبقى الحاجة إلى النحو القديم ما بقيت الحاجة إلى اللغة العربية الفصحى لأن تراث النحو نفسه ارتبط باللغة العربية وارتبطت به. وقد ظل النحو العربي مرتبطاً بمستوى معين من مستويات اللغة العربية وهو مستوى الفصحى التي ابتعدت عن مستوى التعامل اليومي للناطقين بها منذ زمن بعيد بحيث كانت المؤثرات اللغوية تفعل فعلها في المستوى الذي ارتضاه الناس للتخاطب والتعامل اليومي في قضاء الحاجات وهو الذي يعرف

1- سورة العلق الآية 1

2- ابو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد (مصر: مؤسسة قرطبة)، ط2، ص: 172.

3- أبو الجحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت دار إحياء التراث العربي) ط1،

ص: 131.

بالمستوى العامي، وإن كان مستوى الفصحى لم يسلم بطبيعة الحال كل السلامة من تلك المؤثرات¹.

فاللغة صورة لحياة أصحابها ترقى برفقهم وتتخلف بتخلفهم، وكان العرب متقدمين بالإسلام تقدمت بهم لغتهم، وحين تخلفوا عنه تخلفت بهم أيضاً وذلك أن قدر هذه اللغة العربية أنها وعاء الإسلام الحنيف شئنا ذلك أو أبينا وقد دفع الإسلام باللغة العربية إلى إرتياد آفاق العلم التجريبي حتى صارت لغة العلم كما هي لغة الدين والأدب.

لقد كانت اللغة العربية ولا زالت نبعاً دافقاً بالمعرفة ومعيناً لا ينضب لكل وارد إليها يستقى منها العلم والأدب والثقافة معاً. فالعربية ليست بدعاً من سائر اللغات من حيث التأثير بالحضارات فقد تأثرت بالحضارة العربية الإسلامية، وعرف العرب منذ القديم اعتزازهم بلغتهم، وشعورهم بتفوقهم وقدرتها على التعبير عن أغراضهم ومستجدات حياتهم الاجتماعية والعقدية والعلمية، وكان هذا مظهراً من مظاهر تحضر الناطقين بالعربية، لأنهم كانوا يصوغون خيوط أنماط حياتهم بنسيج عربي خالص، ولا يعتمدون على أنماط أخرى أجنبية عنهم إلا على سبيل الاستفادة والتفاعل لا الهيمنة والغزو. بل يعد انتقال العرب من الجاهلية الضيقة إلى حضارة الإسلام الواسعة أكبر عامل من عوامل نهضة لغتهم ورفقي أساليبها واتساعها لمختلف أنماط التعبير، وأهم سبب من أسباب تهذيب لغتهم وسمو أساليبها واتساع نطاقها وتخلصها مما عسى أن يكون بها من خشونة وغرابة².

وعندما أصيب المجتمع العربي الإسلامي بصدمات الغزو والاستعمار المتتالية تراجعت قدراته الإبداعية ومهاراته اللغوية، وذلك عندما عمد إلى إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي، وسعى إلى القضاء على جل المراكز الإسلامية من كتاتيب ومدارس قرآنية وزوايا ومساجد، وأصبح استعمال العربية ممنوعاً بالقوة في كل مرافق الحياة، بما فيها المدارس ومناهج التعليم³.

وبما أننا نعيش في عصر يتسم بالسرعة الشديدة والتغيرات والتطورات المذهلة وتحول الأمية من أمية القراءة والكتابة إلى أمية الحاسوب والإنترنت. والمراقب للمشهد اللغوي المعاصر وما يكتنفه من مواجهات وتحديات فاللغة العربية تلك القلعة الشامخة، والتي تكسرت على صخرتها جميع

¹ - سليمان ابن عبد القوي الطوفي، تحقيق السيد يوسف أحمد، الصقعة الغضبية في الرد على منكري العربية، ط1، ص: 6.

²² علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ط2 (مطبعة عيسى البابي وشركاه، دار إحياء الكتب العربية، 1370هـ-1951م) ص10

³ عبد العلي الوديعري، الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية في المغرب، ط1 (الرباط: الشركة المغربية للطباعة والنشر، 1993م) ص 73 وما بعدها.

محاولات التآمر مما فرض عليها صراع لغوي مرير¹ بينها وبين تلك اللهجات واللغيات، وهو صراع غريب عنها أحدثته فئة اجتماعية تنتفع من هذا الصراع وتقتات عليه، لتنتعش مشاريع لها وبرامج وتصورات ضيقة على حساب المشروع العربي الفصيح، أي إن تعويض العربية الفصيحة بالأجنبية أو العامية أو اللهجة المحلية يفضي إلى نقض عرى الأمة وذهاب هويتها، وهو صراع مرير منذ سبينا عام (1880م) ودعوته إلى إحلال العامية، محل العربية الفصحى، واستبدال الحرف العربي باللاتيني مروراً بمحاولات التتريك على يد مصطفى كمال أتاتورك انتهاء بدعوات سلامة موسى وغيرهم ممن حاولوا الانتقاص من شأن العربية، والتقليل من مكانتها، وحضورها على خريطة التكوين الجيني للمورثات المعرفية والنفسية والحضارية للشخصية العربية المسلمة المعتزة بدينها ولغتها وتاريخها وحضارتها الماجدة.

والأسئلة التي تدور على صفحات تفكير المهتمين تتمحور في هل اللغة العربية قادرة على تلبية احتياجات عصرنا الراهن؟ وهل هي قادرة على التعامل مع تقنيات العصر الحديث من حاسوب وأنترنت وغيرها؟.

وكيف يمكن أن يستفيد العلماء الحادبون على اللغة العربية من هذه التقنيات الحديثة في خدمة العربية وتطويرها ومسايرتها لروح العصر؟. وهل اللغة العربية - أصلاً - قادرة على أن تضع يدها على التقنيات الحديثة ليصلا إلى صيغة تفاهم مشتركة بينها تؤمن أكبر قدر ممكن من المنفعة المتبادلة لكل طرف منها؟.

كل هذه الأسئلة سنحاول أن نجيب عنها في هذه الورقة المتواضعة. الناظر إلى واقع اللغة العربية اليوم يرى أن أهم الأسباب التي أبعدت الهوة بين اللغة العربية وأهلها تتمثل في عدة أسباب منها:-

أ/ غياب التنقيف اللغوي الصحيح في البيت وفي مراحل التعليم المختلفة من البدء إلى النهاية. فالأسرة مسؤولة عن لغة الأبناء قبل المجتمع خارجها ودورها يتعاضم عندما يصل الأطفال سن الكلام والمحادثة التي تدور في داخل البيت، فالحوار الأسري له دور كبير في النمو اللغوي لدى الأطفال وتحبيب العربية إليهم باعتبارها جزء من الدين، وعدم مرعاة الجوانب اللغوية يؤدي إلى خروج الأبناء عن محيط الخارطة اللغوية للفصحى إلى ما غير مقبول من لهجات محلية لا تفيد في تدرجه اللغوي. وكما للمراحل التعليمية دور متعاضم في ثقل المهارات اللغوية التي تبني وتنمي اللغة بصورتها السليمة داخل الطلاب مما يجعلهم يقبلون

¹ عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، ط1 (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1998م) ص151.

عليها ودرستها بكل فروعها مما يساعدهم على حبها وحب العلوم الأخرى التي تدرس باللغة العربية الفصيحة.

ب/ العزوف عن استخدامها في مواقعها الأصلية من العارفين بحجة صعوبتها وعدم كفايتها في التوصيل العام. ولعل ذلك مرده للانهازام الذاتي وعدم الالتفات إلى الهوية العربية وعدم التمسك بتلابيب الدين الإسلامي بقرانه الكريم وسنته المطهرة.

ج/ سيطرة اللهجات العامية على اللسان العربي في مجمل المواقع اللغوية العام منها والخاص على السواء. ودعوة المرجفين إلى هجر الفصحى وإقصائها من حياتهم، لا اعتبارهم أنها سبب تأخرهم والعائق دون تقدمهم ولحاقهم لركب الحضارة. ولعل من المناسب ان نشير إلى أقطاب دعاة العامية في العالم العربي الذين لم يجرؤ أحد منهم على كتابة آرائه وأفكاره في أي من كتبه باللهجة العامية، لأنه يعلم قبل غيره أنه بذلك يحكم عليه بالموت شتقاً ساعة الولادة. فهذا مثلاً سلامة موسى ظل يدعو إلى هجر اللغة العربية الفصحى والكتابة باللغة العامية ما يزيد على خمسين سنة، ولم يجرب يوماً أن يكتب بها مقالاً واحداً، مع أن له مئات المقالات، فهم أول من يتنكر لها، ولكنهم يهدفون إلى شيء آخر هو عزل المسلمين عن مصادر عزتهم ومجدهم وفصلهم عن دينهم وتراثهم.

د/ التلوث اللغوي الذي يبدو واضحاً في استخدام عربية كسيحة مغلوطة محشوة بكلمات وعبارات أجنبية دون داع أو ضرورة إظهاراً للفوقية الثقافية والاجتماعية. وقد يظن البعض ممن سيطرت عليه الثقافة الغربية أن في إظهاره للمفردات والمصطلحات الغربية من ضمن حوار به باللغة العربية علواً وفوقية، ولعلنا ندرك أن مثل هذه النظرة عند علماء النفس تعني نقص الجانب الحضاري والبعد عن الاعتزاز بالهوية العربية وزيادة في التلوث اللغوي بالاهتمام باللغة الأجنبية والانحطاط في جانب اللغة العربية.

هـ/ ويأتى على القمة من هذه الأسباب ضعف الانتماء إلى القومية العربية واهتزاز البناء. في حين أن التكامل الثقافي هو الأساس في وحدة البناء اللغوي وتكامله. فالعربي يعتز دائماً بعروبته وثقافته العربية التي منبعها الدين الإسلامي ومصادر المعرفة لكل مسلم فالقرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة يمثلان القوة الفعلية للغة العربية من حيث فصاحة اللسان والفكر السليم. وكلما بعد العربي عن العربية كلما قل وضعف الانتماء للقومية العربية.

حال اللغة العربية في العالم العربي:

جرت العادة في الشارع العربي على اتهام اللغة العربية بالتخلف والقصور. وماهي بتمهة بحال من الأحوال للعربية ذاتها إن المتهم هم العرب أنفسهم. فاللغة أي لغة على وجه الأرض لا تعيش بمعزل عن أصحابها، هم الذين يقدمون لها الزاد والمدد. فاللغة إذا اعطيتها وطلبت منها ولدت لك ما تشاء، وإذا أحجمت عنها هربت منك وضاعت. فضياع العربية سببه أهلها، فليس في العربية جفاء أو جمود أو تخلف بذاتها. إنما التخلف والاضطراب أصابها من أصحابها.

إن اللغة العربية الآن تعاني من التلوث اللغوي أي أنها باتت مشحونة باللغات الأجنبية، واللهجات التي لا حصر لها. وقد أصبح الناس ينظرون إلى اللغة الأجنبية نظرة فوقية، في حين ينظرون إلى اللغة نظرة دونية وهذا أمر خطير لأنه إذا نظر الإنسان إلى نفسه نظرة دونية معناه أنه ينظر إلى نفسه النظرة نفسها. فاحترام النفس نابع من احترام اللغة.

ومن الأخطار التي تواجه اللغة العربية أيضاً المدارس الأجنبية لأن التعليم فيها يشكل العقلية، والاتجاه والفكر والمفروض أن الاتجاه والفكر موحداً أو شبه موحّد ويتحقق ذلك من خلال وحدة اللغة. ولقد كان المثقفون العرب يظنون أن السبب في إضعاف اللغة العربية يكمن في وجود المستعمر، وفرض ثقافته وهويته كما ظنوا أن هدفه إضعاف الشخصية العربية وربطها بثقافتهم ولكن ما إن انقشع غبار الاستعمار، تبين أن العلة لم تكن في الاستعمار، وإنما كانت لأسباب كثيرة، منها الفتنة الوافدة وغفلتهم عن أهمية الفصحى وأصابتهم بالعمى الحضاري الذي جعلهم لا يبصرون طريقهم¹.

فلغتنا العربية اليوم تتعرض لألوان من الهجر والإقصاء والمضايقة والتشويه من أكثر أبنائها، وفي عقر دارها ويتمثل ذلك في الآتي:

1- أن لغة المستعمر للبلاد الإسلامية هي لغة الشعوب المسلمة في تلك البلاد في أكثر دول أفريقيا وآسيا. وترى القليل من المسلمين يحسن اللغة العربية، ويعرف لها قدرها. أما البقية فهم لا يحسنون غير لغة المستعمر، مع أنهم مسلمون وكان من الواجب أن يتقنوا لغة القرآن، لغة دينهم وعبادتهم.

2- إن اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي في الأقسام العلمية في كثير من جامعاتنا بل في جامعات الدول العربية، فالطب والهندسة والعلوم وغيرها من العلوم التجريبية كلها لا تدرس إلا باللغة

¹ - أحمد الضبيبي، اللغة العربية في عصر العولمة، ط1، العبيكان، الرياض، 2001م، ص: 173.

الأجنبية مع قدرة اللغة العربية وسعتها، فالعدول عنها إلى الأجنبية وقلة المحاولات الجادة لتعريب تلك العلوم أمر مؤلم ومحير رغم الجهود المجمع اللغوية في الوطن العربي ووحدات التعريب فيها وفي جامعات العربية المختلفة.

3- إن من المؤسف جداً أن تكون اللغة السائدة في المراكز الصحية والمستشفيات وكذلك في الفنادق هي اللغة الأجنبية مع أن غالبية الأطباء العاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب..... إن المرء يشعر بالألم والحسرة عندما يتسلم وصفته الطبية فيجدها مكتوبة بلغة أجنبية أو (فاتورة) حسابه في الفندق فيجدها كذلك. بل إن الألم يزداد وتتضاعف الحسرة حينما تبحث عن يحسن العربية في تلك المواقع فلاتجده. فمن المسؤول عن هذا التخازل والتتكر؟؟

4- إن من مظاهر الغزو الأجنبي ذلك الكم الهائل من المفردات التي تسلت إلى لغتنا العربية في حين غفلة من أهلها، فلا تكاد تستمع إلى متحدث إلا وتجد في ثنايا بعض تلك الكلمات، وبخاصة معشر المثقفين غير مدركين لخطورة هذا المسلك وقد كره الأمام الشافعي رحمه الله لمن يعرف العربية أن يسمى بغيرها، وأن يتكلم بها خالطاً لها بالعجمية وهذا الذي ذكره مذكور عن الصحابة والتابعين.

5- ومن مظاهر هجر الفصحى وغربتها تلك النظرة المتميزة لمن يتكلم أياً من اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية في الوقت الذي يلاقي فيه من يحاول أن يتحدث بالفصحى شيئاً من الاستهزاء والسخرية من المجتمع الذي يعيش فيه. وربما يكون ذلك في بعض الأوساط العلمية التي من المفترض في روادها أن يلتزموا العربية الفصحى دون تقعر أو تشدد في التماس الغريب.

6- إن من مظاهر عدم الاهتمام باللغة وغربتها بين أهلها ما يلاحظ على بعض معلمين في المراحل المختلفة بشكل عام، ومعلمي اللغة بشكل خاص من ضعف في المستوى العلمي، فتتري بعض المعلمين لا يحرصون على الالتزام بالفصحى أثناء تدريسه للطلاب، بل إنه لا يستخدم إلا اللهجة المحلية، وذلك يعود لسببين: أولهما: عدم اهتمامه بالعربية الفصحى. وثانيهما: عدم إلمامه بقواعدها وأصولها.

ومن المؤلم حقاً أن نرى ونسمع بعض أساتذة الكليات والمعاهد المتخصصة وهو في فصله أو أثناء مناقشة الرسائل العلمية يستخدم غير الفصحى بكل جسارة. وقد أخرج لنا هذا المستوى المتواضع جيلاً ضعيف المستوى لا يحمل للغة ما تستحق من حب وتقدير، لكونه لا يرى في محيطه العلمي والاجتماعي من يعينه على تكوين تلك النظرة السامية.

7- الأخطاء الجسيمة التي نراها ونشاهدها ومخالفات لغوية ونحوية واضحة في اللافتات واللوحات المعلقة على واجهات المحلات التجارية كما أننا نلاحظ بعض المسميات الدخيلة على لغتنا وكثيراً ما تزامم اللغة الأجنبية لغتنا الأصلية، فتكتب بخط عريض، وشكل جميل ينافس لغة البلاد المعتمدة.

8- من مظاهر غربة اللغة وقلة الاهتمام بها الاحتفاء بالأدب الشعبية والأشعار العامية، فترى الصحف تتسابق في خدمة هذا النوع من الأدب ونشره، والتشجيع عليه، وتفرد له الصفحات وتخصص له الملاحق. وهذا بلا شك دليل على ضعف مستوى التذوق عند بعض أفراد الأمة. وفي هذا تشجيع لكتابة هذا النوع من الشعر صرفاً للناشئة عن كتابة الشعر العربي الأصيل.

العولمة وتحدياتها:

هو مفهوم مراوغ ومتعدد الدلالات ومختلف المعاني وعمومية استخدام المصطلح تجعل من الصعب إيجاد مفهوم خاص له يتمتع بالقبول الجماهيري شائع الاستخدام والاستعمال.

يعد منطوق العولمة من أكثر المفاهيم انتشاراً في الحالي واستهلاكاً في دنيا الثقافة والعلوم وفي عالم المعرفة. ويرجع هذا الانتشار الكبير إلى المرونة الهائلة لهذا المنطوق في التعبير عن أخطر المراحل في تطور الإنسانية في مختلف مستويات الوجود والحياة المعاصرة.

وقد كثرت التعريفات التي أطلقها الباحثون والدارسون لهذه الظاهرة التي تلف العالم، والتي ذهبوا في تفسيرها والحديث عن آثارها كل مذهب.

العولمة في اللغة العربية ترجمة لكلمة (Globalization) في اللغة الإنجليزية

وهي حديثة في اللغة العربية. وتعود في أصلها الإشتقائي العربي إلى كلمة عالم وتعني تعميم الشيء، ليصبح عالمياً أو نقله من حيز الخصوصية إلى مجال العمومية في مستواها الكوني¹. وهناك من يعرف العولمة بأنها (حرية حركة

¹- عمرو خاطر، العربية والعولمة (معالم الحاضر وأفاق المستقبل)، ط1، 2010م، ص: 15.

²- محمد بن سهو، العولمة، دار البيارق، عمان 1998م، ص: 15

السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والإقليمية².

ويعرفها الدكتور عبدالصبور شاهين بأنها: (اتجاه الحركة الحضارية نحو سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة، أو بعبارة أخرى استقطاب النشاط السياسي والاقتصادي في العالم حول إرادة مركز واحد من مراكز القوة في العالم والمقصود طبعاً قوة الولايات المتحدة الأمريكية)³.

فمن قراءتنا لهذه التعاريف نعرف لما للعولمة من أثر كبير سوف نرى آثاره في المستقبل، والعولمة شئنا أم أبينا ستلقي بظلالها على كافة المجالات ليس فقط السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل ستتعدى ذلك لما هو أخطر كالبعد التربوي والثقافي والاتصالي.

مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة:

قد تهيأت الفرصة للغة العربية إبان الفتح الإسلامي لتنبؤاً مكانة مرموقة بين لغات العالم، وإنما كان لذلك محمولاً على ارتباطها بالقران الكريم والدين الإسلامي كما أنها ارتبطت بقوة المسلمين بكل ما تحمله القوة من عناصر عسكرية واجتماعية ودينية وعلمية وثقافية. ولا شك أنها مرت بمراحل تراوحت بين الازدهار والتقهقر، ومرت بتجارب مع الغزو الثقافي واللغوي وتجاوز الأمر ذلك إلى الاضطهاد أيام الترك والاستيطان الأوروبي، مع كل ذلك خرجت اللغة العربية منتصرة ظافرة في كثير من المواقع وخسرت في تركيا وماليزيا حين استبدلت الحروف اللاتينية بالحروف العربية¹.

ولا يخفى على المتأمل في حال اللغة العربية اليوم يرى التحديات التي تواجه اللغة العربية وتمثل تحديات كبيرة جداً تشمل تيار اللغة الإنجليزية الجارف وتتمثل مظاهر العولمة اللغوية في العالم العربي في:

- 1- التداول باللغة الإنجليزية في الحياة اليومية.
- 2- كتابة لافتات المحال التجارية باللغة الإنجليزية.
- 3- التراسل عبر الإنترنت والهواتف الخلوية باللغة الإنجليزية.
- 4- اشتراط إتقان اللغة الإنجليزية للتوظيف.
- 5- كتابة الإعلانات التجارية باللغة الإنجليزية.

3- عبد الصبور شاهين، نحن والعولمة، وزارة المعارف، الرياض، 1420هـ، ص:37.

¹ - وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، درا البداية الأردن، ط1، 2007م، ص: 2.

6- كتابة قوائم الطعام في المطاعم باللغة الإنجليزية¹.

هذا على المستوى الشعبي أما على المستوى الرسمي فقد كفلت كثير من التشريعات الحكومية في البلاد العربية موقعاً متفوقاً للغة الإنجليزية من حيث عددها اللغة الأجنبية الأولى في النظم التعليمية، حتى في البلدان العربية التي احتلتها فرنسا وتتمثل هيمنة اللغة الإنجليزية في العالم العربي كغيرها من دول العالم فيما يلي:

- أ- تعليمها في مراحل الطفولة المبكرة.
 - ب- استخدامها لغة رئيسة في التعليم الجامعي، ولاسيما في العلوم الطبيعية والطبية والحاسوب والعلوم الإدارية والإقتصاد.
 - ج- استخدامها لغة رئيسة في المدارس الخاصة تدرس بها كل المواد حتى التربية الوطنية.
- فالعولمة قادمة تلك حقيقة لا ينكرها إلا جاهل ولكن لن تكون ذات مستوى واحد ولا فعل والمتلقي هو الذي يحدد أسلوب المواجهة والتعامل والغرب ما فتئ يسك المصطلحات خليطاً من خير وشر، وإذا أصاب الحكمة فيما يأتي فهي ضالتنا لا نسأل عن مصدرها.
- إن علينا أن نقبل بما لا بد منه وندفع بالذي يتفق مع سباقنا الحضاري والغرب.

الرؤى الأيديولوجية للعرب نحو العولمة:

إن انقسام المثقفين العرب تجاه العولمة بين مؤيد ومعارض ومقاوم وانتقائي جعل هناك حالة فصام فكري بين الدافع والفكر العربي بمختلف اتجاهاته. حيث هذا الفكر في ظل المعارك الأيديولوجية قدرته على تحليل الظاهرة وتفكيكها بصورة موضوعية علمية تكشف الغموض وتبدد الأوهام.

إن المهمة الأساسية التي تتوجب على المربين والمثقفين العرب في مرحلة العولمة تتمثل في تحليل الواقع بكل ما يضح فيه من أقوال وأفعال وممارسات ومفاهيم وتحديات ومن ثم العمل على مواصلة النقد والتحليل باستمرار من أجل تجديد الروح الفكرية وتاصيل المنهج العقلي في اتجاه الابتكار والتجديد والاجتهاد. وهو يعنى أن رهان حركتنا إلى الإمام لن يكون أبداً إلا بإحداث هذه الثورة العميقة من المفاهيم والتصورات في إطار روح نقدية مغامرة وطموحة باتجاه وفي دائرة العمل على تحديدها وتنقيتها من سموم الركود والمتصلب الأسن.

1 - نفس المرجع، ص262.

ومن ثم القبول بالعلومة لا يقتضي نفي الذات ولا جلدتها والرفض لا يقتضي مصادرة حق الآخرين ونفيه وهذا التصوران القائمان عند الأكثرين لا يحققان شيئاً من التعامل الايجابي.

دور منهاج اللغة العربية في الحفاظ على الهوية:

لعله اتضح إلى الآن التحدي الذي تواجهه اللغة العربية بسبب طوفان العولمة، وما نجم عنها من تراجع في استخدام العربية في مختلف مستويات الحياة، وما يمكن أن يؤدي إليه ذلك من خطورة على هوية الأمة العربية، الأمر الذي يجعل مواجهة هذا الطوفان، حتمية لا مفر منها؛ للمحافظة على هوية الأمة، وحماية ثقافتها الفريدة، وإنقاذ أبنائها من التردّي نحو هاوية الذوبان في الأمم الأجنبية، كما تجلت مركزية اللغة العربية في المنهاج الدراسي، باعتبارها لغة التفكير، والتعبير، والاتصال، والتعلم، والتراث.

ويقوم النظام الرمزي للغة على أربعة نظم أساسية؛ أولها النظام الصوتي الذي تأتلف فيه الأصوات، لتشكل المقاطع الصوتية، والكلمات، وثانيها النظام البنيوي أو الصرفي الذي يحكم عملية بناء الكلمة، وتصريفها، وفق نوعها، ووفق دلالتها، وثالثها النظام التركيبي أو النحوي الذي ينظم تركيب الجملة والعبارة من كلمات، تأتلف وفق نسق معيّن محكوم بالفكرة المراد إيصالها، ورابعها النظام الدلالي الذي يختصّ بدلالات المفردات، ومعانيها، وعلاقاتها في السياقات اللغوية، والمجموعات الدلالية التي تنتظمها.

ولذلك يتكوّن منهاج اللغة العربية من فروع عدّة؛ تلتقي على تمكين المتعلم من إتقان استخدام كفايات الاتصال اللغوي، فالقراءة تمكنه من تعرف الرموز الكتابية للغة، ونهج الربط بينها في الكلمات، لتعرف الكلمات والجمل، وفهم معانيها، ثم تحليل النصوص، ونقدها، واستخدامها في التعلم، والتسليّة، وحلّ المشكلات، وغير ذلك، وتأتي الكتابة رديفاً للقراءة، ومكملاً لها في التعامل مع الرموز الكتابية، إلا أن استخدامها يركز على إنتاج الرسائل اللغوية لا استقبالها كما هو الحال في القراءة. ويقابل هاتين القدرتين الاستماع والتحدث، وفيهما يركز المنهاج على الشكل المفوظ للغة، استقبلاً في الاستماع، وإنتاجاً في التحدث.

غير أن فهم النظام الرمزي للغة، والتمكّن منه يقتضي دراسة قوانين تأليف الكلمات، وتركيب الجمل والعبارات، والأسس التي يقوم عليها النظام المعجمي والدلالي، ومعايير التعبير التصويري والخيالي، وهذا كلّه يقدمه منهاج اللغة العربية في دروس الصرف، والنحو، والمعجم، والبلاغة، مستقلة، لتعميق

الكسب والتحصيل، وممزوجة بالمواقف الأخرى لتعلم اللغة، لبيان ترابط مهارات اللغة، وتأزرها في أداء مهمة الاتصال اللغوي.

الثقافة العربية وآفاق المعرفة:

تتميز العولمة، على الأقل، بإخلاقها فضاءً معرفياً كونياً شاسعاً الثراء والإمكانيات، مفتوحاً لجميع الشعوب، بإمكانه أن يكون مفتاح انطلاقٍ ونهضةٍ وازدهار لمن يجيد التفاعل معه!... ف«النص الرقمي» (مقال، محاضرة بالصوت والصورة، برمجية كمبيوتر، كتاب، مكتبة هائلة...) الذي يعبر اليوم القارات بلمحة البرق عبر شبكة إنترنت، ليقرأ على أية شاشة في أي مكان في الكون، إنجازٌ حضاريٌّ عبقرِيٌّ مدهش يفوق كل إنجاز!... بإمكان أي إنسان اليوم مثلاً، في أية قرية ضائعة في الكون، أن يُنزل مجاناً على كمبيوتره برمجيات تشغيل لغة «جافا» وكُتُب تعلمها، وأن يستخدمها وهو في قريته، مثل أحدث مؤسسة تكنولوجية في العالم، لصنع عقد البرمجيات أو حل أصعب المعضلات العلمية!...

لا يختلف حظُّ الثقافة العربية في فضاء العولمة المعرفي عن غيرها من الثقافات. فالتقدم التكنولوجي الذي تركزُ العولمة على صرحه قوّة خلاقية خصبه بإمكانها إما أن تسمح للشعوب العربية (لو امتلكت مشروعاً حضارياً لتطوير لغتها وتعليمها في إطاره) بالنهوض السريع واستعادة مجدِّ أفل، وإما أن تهددها بالاحتضار السريع والتسوّل المهين في ضواحي الحضارة الإنسانية!...

إذ أن العولمة، مثل أية بيئة حيوية جديدة، تهبُّ البقاء والازدهار لمن يتكيف معها بشكل سريع خلاق. فقد تمكّنت الصين، التي ترجمت معارف الغرب العلمية والتقنية والثقافية في فترةٍ وجيزة واستلهمت تجاربه وعرفت كيف تكثف حضورها وإشعاعها المعرفي، أن تنمو وتتفوق وتتجاوز أهم دول الغرب أحياناً!... يكفي مثلاً ملاحظة أن اللغة الصينية، رغم صعوبتها، صارت اليوم بؤرة إقبالٍ شديد في معاهد التجارة العليا الفرنسية، وكليات الهندسة والجامعات. ووصل الإقبال على اكتشاف الثقافة الصينية في فرنسا ذروته اليوم أيضاً! يلاحظ ذلك، على سبيل المثال، من يتابع الندوات والبرامج الثقافية والكتب الفرنسية الحديثة حول كتاب سان تزو: «فن الحرب»، الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، والذي أمسى اليوم «كتاب مخدع» كبار المثقفين والسياسيين الفرنسيين معاً!... أليس ذلك دليلٌ على أن نهوض أية حضارة يعني نهوض لغتها وثقافتها بالضرورة، بغض النظر عن موقع اللغة الإنجليزية في صالون الحضارات، وعن موقع الغرب في قيادة الأوركسترا الإنسانية منذ عصر النهضة!...

فقد برهنت تجربة الصين وغيرها من الدول الناهضة الحديثة أن جدار العولمة ليس أصمَّ أو مزاجياً مثل جدار الشاعر اليميني المعروف الذي قال: سنظّل نحفرُ في الجدار/ إما فتحنا ثغرةً للنور/ أو مُتْنَا على وجهِ الجدار! فهو جدارٌ ينثال منه النور لمن يحفر فيه بعزمٍ وذكاء! لكن الموت في أحضانه الباردة قدرٌ حتميٌّ لمن يتكاسل ويتأخر عن ذلك، كما يبدو! لأن «الفناء للأبطأ» هو الوجه الآخر لمبدأ «البقاء للأنسب»، كما تمارسه «عدالة» العولمة التي لا ترحم! فهي لا تسمح لمن يتأخر عن مواجهة تحدياتها (كما هو حال واقعنا العربي اليوم) إلا بالانهيار والهرولة بسرعةٍ قصوى نحو الحضيض.

العربية والحاسب الآلي:

يمثل الحاسب الآلي امتداداً للتحديات التي تواجه اللغة العربية في ظل العولمة وهي ثورة الانفجار المعرفي في الأجهزة الحديثة من خلال الحاسب ومشتقاته ومع هذه الثورة في المعلومات فإن المأزق الحضاري الحرج الذي تقع فيه الأمة العربية يفضي بنا كما يرى الدكتور نبيل علي إلى الفرع لأنه قد حلت بنا هذه الموجة العارمة ونحن في أقصى درجات التشتت والفرقة مهددين باضمحلال كياننا القومي تحت وقع ضغوط خارجية شديدة وقيود داخلية قاسية.

يعتبر التضخم المعلوماتي أبرز سمات هذا العصر وضرورة الإحاطة باللغة العربية لمعالجتها وتحليلها وتنظيمها وفهرستها الأمر الذي لم يعد بإمكان الطاقات البشرية القيام به هذا بالإضافة إلى شيوع استخدام الحاسوب في عملية التعليم والتعلم، أضحت حجر الزاوية للتزود بالعلم والمعرفة ومواكبة الفيض الهائل من المعلومات، مما يدعو حتماً ضرورة التعامل مع الحاسوب وتطوير أدواته على قاعدة اللغة العربية. أي إدخالها في سياج التقنيات الحديثة، واستخدامها في ضوء الوسائل العلمية المتاحة، لكي تصبح أداة عملية في مجال النشر الإلكتروني ومن ثم يفض الاشتباك بين قواعد اللغة العربية بأنظمتها والتطور التقني للحاسوب¹.

اللغة العربية والإعلام:

اللغة العربية الفصحى في رمقها الأخير في أجهزة الإعلام العربي المسموع والمقروء والمرئي ذلك لأن البعد الاستراتيجي للغة العربية لم يكن ضمن اهتمامات السياسة، لأن اللغة العربية مرتبطة بفكرة الوحدة العربية

¹- خليل علي، العرب وعصر المعلومات، دار المعرفة، الكويت، ط1، ص: 348.

والثقافة القومية التي كانت وما زالت من الشعارات التي لم تتجسد على أرض الواقع.

والحديث هنا عن العربية والإعلام لا نقصد به الأخطاء الإملائية واللغوية فضلاً عن انحياز كثير من الإعلاميين إلى اللغة العامية ونفورهم من اللغة العربية الفصحى.

في هذا العصر أصبحت اللغة العربية مهددة والعمل على أضعافها والقضاء عليها علناً من أعدائها ظاهراً، ومن قبل أبنائها الذين يعيشون في فوضى لغوية أدت في النهاية إلى غربة اللغة العربية الفصحى بين أبنائها وعدم حرصهم عليها لعدم احساسهم بقيمتها أو ضرورتها لحياتهم¹.

ما تواجهه اللغة العربية:

غير أن لغتنا تواجه في صراع البقاء معارك محتدمة بينها وبين أعدائها فهي قد اتخذت غرضاً تتواقع فيه النصال على النصال من فئات لعبت بساحتها الأهواء فهي عند نفر لغة شائخة منزوفة الطاقة لا تنتهي بفكر ولا تجري في مضمار الحضارة، وهي عند آخرين لغة جاءت والصعوبة على موعد فالقاعدة فيها عصية لا تلين والقانون النحوي إدراكي مثقل لا يتفق.

وقد يكون من الطبيعي أن تجد اللغة العربية خارج حدودها أعداءً يكيّدون لها، ولكن المفزع حقاً أن يكون بعض هؤلاء الأعداء من بينها عن قصد أو عن غير قصد، ولذلك فهي تقاتل في جبهتين، أقربهما أمرهما؛ لأنها هنا تقاتل قطعاً من نفسها، ولو كتب الله لها النصر في هذه المعركة فإن ما عداها يهون.

العالم بأسره يهاب العربية ويضعها من بين اللغات التي لا تخدم قضية التقدم العلمي والتكنولوجي وهذا كله لعداوتهم للإسلام والمسلمين وينقصون من قدرها مع علمهم بأنها محفوظة من رب العالمين، وقد دل على ذلك أنها اللغة الوحيدة التي لم تتأثر سلباً باحتكاكها بغيرها من اللغات الأخرى، بل زاد ذلك من قوتها وقوة مفرداتها والتي تشكل إجازاً حقيقياً للعربية حيث الاشتقاقات الأنيفة التي أغنت المعاجم واستطاعت أن تكون في غاية المرونة والتطويع النادر في محاولات العرب في ترجمة العديد من الكتب والمؤلفات النادرة التي خدمت البحث العلمي. إن العربية كلغة عالمية لا بد لها أن تسير بخطى ثابتة، مدركة ما يدور حولها من مؤامرات ووسائل يحيكها أعداء الإسلام، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعار الأمم التي بها يتميزون.

ونحن نتطلع إلى اليوم الذي يتحول فيه كل العرب عشاقاً مغرمين بلسانهم ذائبين في حرفه يحسنون درسه ويجيدون نطقه، فلا ينطقون على أرض

1- أحمد الضبيبي، مرجع سابق، ص:171.

العرب إلا اللغة العربية، عندئذ سوف يكون لهذه الأرض احترامها سوف تعود حمايتها وعزتها. وها هي العربية تتحدث عن أهلها بقولها:

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقت فلم أجزع لقول عداة
وَلَدْتُ ولما لم أجد لعرائسي
رجالاً وأكفاءً وأدتُ بناتي
وَسِعْتُ كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضِقتُ عن آي به وعظاتِ
فكيف أضيّقُ اليومَ وصف آلهِ
وتنسيقِ أسماءِ لآلاتِ ومخترعاتِ

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامن
فهل سألوا الغواصَ عن صدفاتي
بعد أكثر من ثمانية عقود على هذه الأبيات الخالدة التي تحدث فيها شاعر النيل حافظ ابراهيم بلسان لغة الضاد لم يتغير حال هذه اللغة كثيراً بل ساء أكثر رغم كل الجهود التي بذلت وتبذل للحفاظ عليها.

وليس معنى رجوعنا إلى اللغة العربية أن نجهل غيرها فما زالت معرفة اللغات المختلفة السبيل الوحيد إلى استيعاب العلم ولا حرج على من يعشق لغته العربية أن يتعلم إلى جوارها عدة لغات ليفيد لغته¹. وقد وجدنا أن اللغة العربية ومنذ القدم واجهت الكثير من المشاكل والحروب وقد استطاعت بفضل الله الاستمرار والبقاء، ولا شك أن القرآن الكريم الذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه هو العامل الكبير في حفظ العربية، كما وجدنا أن العولمة لم تتضح معالمها وإن كانت واضحة المعالم إلى حد ما في الأمور الاقتصادية، أما ما يتعلق باللغة العربية والعولمة فنقل حسب علمي الدراسات العلمية موثقة عن ذلك، ولكن هناك إشارات تحذر من انتشار اللغة الأجنبية على حساب اللغة الأم، سواء في مجال الدراسة أو مجال الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز أو في مجال الكلام اليومي المعتاد.

مواكبة اللغة العربية للعولمة الرقمية:

تداعت الصيحات العملية الجادة لنهضة العربية ومواكبتها لعصر العولمة التي أيدت إيجابياتها الرسالة الخاتمة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتي كانت دعوتها ليست للعرب فحسب بل جاءت عامة لكافة البشر في العالم، وقد أخص الله اللغة العربية بالحفظ بحفظه للقرآن الكريم في كل زمان ومكان.

¹ - عمرو خاطر عبد الغني، مرجع سابق، ص: 39.

وقد وردت العديد من المقترحات للمؤسسات الثقافية والتعليمية العربية، وللحكومات العربية ولجامعة الدول العربية شكلت مشروعاً لإنهاض اللغة العربية في العالم الرقمي. وذلك بهدف تأسيس قاعدة تحتية رقمية ثلاثية الأبعاد للثقافة والتعليم العربي، بطرائق حديثة فعّالة مُلهمة، تضع في مركزها الطالب والأستاذ والمثقف مُنتجاً ومُستخدماً للمعارف في نفس الآن، تردم الهوة التي فصلت العالم العربي عن العالم المتطور، وتسمح له بمجاراته ومناقبته لاحقاً، وقد رأيت ذكرها في هذا المقام لأهميتها ومناسبتها لهذه الدراسة.

تتشكل هذه القاعدة من ثلاث بوابات على الإنترنت، متكاملة ومتفاعلة مع بعضها البعض، تمثل الدعائم الأساسية الثلاث للمعرفة والتعليم العربي، وقاعدة نهضته المتينة:

(أ) بوابة للمواد التربوية التعليمية في كل المجالات معدة بأحدث الوسائل التقنية الحديثة:

بناء بوابة إنترنت تحوي مواد تربوية تعليمية عربية متنوعة (دروس، تجارب وتمثّلات مختبرية حيّة متعدّدة الوسائط، تمارين محلولة، أمثلة...) في كل المجالات (علوم وتكنولوجيا، هندسة، اقتصاد وإدارة، صحة وطب، بيئة وموارد طبيعية...) بأنواع تربوية شتى (دروس مباشرة، دروس عن بُعد... موجهة للطلاب أو للمدرسين أنفسهم بالعربية) معدة بأرقى الوسائل التقنية الحديثة.

يلزم التأكيد أن هذه البوابة لن تصمّم لتكون بديلاً للمدرسين والجامعات، لكنها تسعى لأن تصبح مرجع الطالب والمدرس الأول، كتابهما الدائم، ووسيلتهما اليومية الجديدة للتطور السريع في عالم يتقدم بسرعة البرق!...

يلزم لإنشائها فتح باب مسابقات للمدرّسين الجامعيين داخل العالم العربي أو خارجه، تضع مقاييسها وتختار عروضها الناجحة لجان تحكيم متخصصة، هدفها بناء بوابات دروس رقمية عربية نموذجية على الإنترنت للطلاب العرب في مختلف المواد العلمية والتقنية، تستخدم تقنيات متعددة الوسائط حديثة!...

(ب) بوابة الترجمة من اللغات الأخرى وإلى العربية الحديثة:

بناء بوابة غنيّة ومتطورة لكتب ودراسات ومعارف شتى (نصوص مجانية، معارف آتية من موسوعات مجانية مثل ويكيبيديا، كتب فُقدت حقوق النشر، كتب ذات حقوق نشر...) مترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، تستخدم التكنولوجيا الحديثة وتفجّر طاقات المختصين والطلاب لردم الهوة الهائلة في هذا المضمار.

لتحقيق هذا الهدف يلزم الاستفادة من التجربة الصينية في الترجمة، المستندة على تقنيات العصر الرقمي: فتح مسابقات ترجمة للجميع (مترجمين

تقليديين، طلاب ومتخصصين، كتاب، معاهد وأقسام ترجمة)، وتقديم مكافآت تُعطى حسب مقاييس تختارها لجان تحكيم خبيرة، في ضوء خطة ترجمة عربية لترجمة ما يعادل العشرة آلاف كتاباً سنوياً!... يمكن وضع هذه الكتب المترجمة في بوابات إنترنت لتصل للجميع، دون الحاجة إلى طباعة معظمها بالضرورة!...

(ج) بوابة قاعدة البنية التحتية الرقمية للغة العربية ومكتبتها الرقمية الكبرى: استكمال بناء قاعدة تحتية رقمية متينة وكاملة للغة العربية، وبناء مكتبتها الرقمية الكبرى عبر مشاريع ترقيم مجموعة هائلة (تعدُّ بالملايين) من كتبها ومطبوعاتها الأساسية يتم وضعها في البوابة على إنترنت لكل قراء العربية في جميع أنحاء العالم.

لتحقيق هذا الهدف يلزم أولاً الدراسة الدقيقة لوضع أدوات البناء التحتي الرقمي المتوفرة، وإكمال بنائها سريعاً، قبل البدء بوضع خطة عربية لمشاريع الرقمنة الحديثة.

هذه أطلالة للغة العربية وما يواجهها من تحديات في عصر العولمة ولعلي لم آتي بجديد ولكنها الصيحات الداخلية لخدمة لغة القرآن الكريم تفرض علينا أن نضع نصب أعيننا نهوضها وعلى كافة الأصعدة في كافة أرجاء العالم الذي أصبح قريباً، وهمنا أن نجعل العربية ذات ريادة خالصة ترفع رصيدها بين رصيفاتها من اللغات الأخرى حتى يتوارثها الأجيال وهي أقوى وأقدر تعبيراً عن حاجات العصر ولا سيما أنها مؤيدة بالحفظ من رب العالمين وكتابه العزيز.